Université
Aboubekr Belkaïd
Tlemcen

جامعة
أبو بكر بلقايد

محاضرات مقياس انتربولوجية اشكال التعبير الشعبي

الدكتورة بكوش المولودة قشيوش نصيرة

جامعة تلمسان

المحاضرة الخامسة

Mars 2020

المحاضرة الخامسة

نموذج عن العادات والطقوس

عادات وطقوس الزواج انموذجا

تختلف عادات وطقوس الزواج باختلاف المجتمعات في أشكاله، وعادات الاحتفال به بطرق يقرّها المجتمع، ويفرضها على أفراده، وترتكز هذه الاختلافات على القيم السّائدة التّي تميّز الطّابع المحلّي لثقافة ما عن الثّقافات الأخرى. ويرتبط بالزواج طقوس يسميّها فان جنب" بطقوس المرور أو العبور أو الانتقال. فالتحوّل والانتقال من جماعة لأخرى ومن مرحلة عمرية إلى مرحلة عمرية أخرى (كانتقال الفرد من مرحلة العزوبية إلى مرحلة الزّواج) تتطلبّ القيام ببعض الطّقوس والشعائر، والتي تهدف إلى مساعدة الأفراد على عملية الانتقال. والانتقال من ادوار (العزوبة) إلى ادوار الزواج يتضمن نوعا من الاحتفال، ويعتبر هذا الاحتفال الذي يكون جزءا من النسق الاجتماعي أمرا شائعا في جميع المجتمعات وإن اختلفت صوره وأشكاله. وتتنوع أنماط الزواج منها الداخلي أو ما يسمى بزواج الأقارب وهو أمر مستحب وميسر للمعرفة بالأصل وتقارب المستويات الاجتماعية وإبقاء على مستويات الأسرة، والزواج الخارجي الذي يؤدي هو الآخر إلى تدعيم الجماعات القرابية عن طريق توسيع دائرة قرابتها بالمصاهرة من جماعات أخرى مع ما يصاحب هذه العلاقات الزوجية من مصالح وروابط اقتصادية واجتماعية كثيرة ومتنوعة.

الاختيار الزواجي:

تبدأ الخطبة بمرحلة هامشية تمهيدية تظهر بداية في الاختيار الزواجي وتقوم فكرة الاختيار الزواجي على سؤالين. من الذي يختار؟ ومن الذي يقع عليه الاختيار؟

الاختيار الأسري

جرت العادة أن يتجنّب الحديث مع الأبناء، فيما يتعلّق بأمور الزّواج عند العائلات المحافظة، فالاختيار يكون من اختصاص الأولياء، وما على الأبناء والبنات إلاّ الطّاعة وذلك خشية من النّتيجة السيّئة التي ستلحق بهم، إذا لم يأخذوا برأي ورضا الوالدين.

الاختيار الشخصي

ويلاحظ وجود نمط آخر من أنواع الاختيار عند الإقدام على الزواج ألا وهو الاختيار الفردي الحر وهو «أن ينتقي الشخص شريكته بمقاييسه، ورغباته، وإرادته.»

فقد يرى الأبناء أنه باختيارهم الفردي للشريك والمبني على العاطفة المتبادلة سوف يضمنون التّوازن في حياتهم الزوجيّة المقبلة.

فالتغير إذا كان نتيجة لظروف اقتصادية واجتماعية قد أتاح للأبناء إمكانية الاستقلال المادي عن أبنائهم وبالتالي أتاح لهم فرصا للاختيار دون الرجوع بصورة إجبارية إلى والديهم

ويلاحظ أنّه حاليا يغلب اختيار الفرد لشريكة حياته بنفسه على الاختيار الأسري (الأولياء) وظهور هذا النمط من الاختيار لا يلغي النمط الأول وهو النمط العائلي، بل إنه يظل سائدا في كثير من البيئات خاصّة في المجتمعات الريفية. وحتى إذا كان الفرد يختار بنفسه شريك

حياتـه لا يـمكن أن يغفل الاعتبارات الاجتماعية والثقافية لأن «الزواج نظام يحقق أهـدافـا اجتماعية وثقـافية واقـتـصاديـة بجانب الأهداف الخاصّة أو الشـخـصيّـة»[1]

وقد يرجع الإقدام بـكثرة على الاختيار الشخصي أثناء الزّواج إلـى: تطّـور المجتمع بما فيه من التـفـتّـح عند العائلة على المجتمعات الأخرى وتحوّلـهـا من ممتدّة إلى نوويّة (مستقلة). ممّا أدى إلى تحرّر الابن من سيطرة أبيه، ليتولّى هذه المهمة بنفسـه، وخروج الـفـتـاة إلـى العـمـل والـدّراسة أتاح لـهـا الـفـرصة للاختلاط والـتـعـارف، زيـادة عـلى ذلك يبـقـى التمسك بالدّيـن الإسلامي الذي ينص على أخذ الرأي وتراضي الطّـرفـين لإتـمـام مـشروع الزّواج. وكـأن الـرّجـوع إلى الأهل ما هو إلا مباركة للمـجتمع على هـذا الاختيار.

وبـنـاء عـلـى هـذا يمكن القول إن سلطة الأسرة في المجتمع الجزائري قـد ضـعـفـت فـي مـجـال اختـيار العروس، إذ أصـبح الاختـيار الـفردي يـحل محل الـنّمط الأول (الاختـيار الـعائلي) مسـانـــدا مـشورة الأولياء إضافة إلى أنّ الابن يحتاج المساعدة المادية التي تقدمها له أسرته قبل وأثناء الزفاف.

أنـــواع الـــزّواج:

إضـافـة إلـى نـوع اخـتـيار الـزوج، فـالـزواج فـي تلمسان يكون داخليا كما يكون خارجيا. و الزواج الداخلي هـو أحسن فرص الزواج و أكثر استمرارية عند الكثير من العائلات التلمسانية و العربية عامة، و بالأخص الزواج من «بنت العم» أو «بنت الخال».

[1].علاء الدين كفاني – المرجع السّابق –ص 422

ولعل من أسباب هذا النجاح، هو أن هذا النوع من الزواج يكون مأمون السلوك، فضلا عن أنه لا يكلف الراغب في الزواج البحث عن نسب الفتاة وحسبها، كما قد يكون الإقدام على هذا الزّواج بدافع الحفاظ على الملكية أي تأكيد بقاء الإرث داخل مجموعة القرابة.[2]

كما قد يكون هذا الزّواج رغبة في التماسك العائلي، والاعتداد بالعصبيّة الأسريّة، فكثيرا ما ترى بعض العائلات نفسها أرقى من غيرها، مما يجعلها تخشى اختلاط التقاليد، والعادات عند الزواج من خلال العائلة، مما يعني عدم وجود مكانة للغريب بينها، وهذا ما يشجعها على التشبّث بالزواج الدّاخلي.[3]

وإذا كان الزّواج الدّاخلي هو، الذّي «يحافظ على تماسك الوحدة القرابية أيا كانت (أسرة، عضدا، بطنا، عشيرة...)، وتدعيمها من طرف المصاهرة بذوي القربى مع ما في هذه المصاهرة من حفاظ على ثروة الوحدة القرابية من أن تبدد بانتقالها من النسب إلى وحدات في حالة الزواج الخارجي. فإنّه يؤّدي هو الآخر إلى تدعيم الجماعات القرابية عن طريق توسع دائرة قرابتها بالمصاهرة من جماعات أخرى جديدة مع ما يصحب هذه العلاقات الزوجية من مصالح، وروابط اقتصادية واجتماعية كثيرة ومتنوّعة.[4]

بالإضافة إلى ما سبق، فإنّ البحوث العلمية تؤكد أنّ كثيرا ما ينتج عن الزواج من القريبة (الزواج الداخلي) عاهات وأمراض وراثية. [5]

وهذا ما جعل الناس - وخصوصا فئة المتعلمين-يتخلون عن هذا النوع من الزواج فالتعليم إذا يلعب دورا هاما في التغيير الاجتماعي فهو أداة للتغيير المناسب عبر الأجيال للأفراد والجماعات.

---

[2] محمد رياض – الإنسان دراسة في النوع و الحضارة – دار النهضة العربية للطباعة و النشر – بيروت – ص ( )

[3].فوزية دياب – المرجع السابق– ص151

[4].فوزية دياب – المرجع السابق– ص151

[5]Domart(A)-Encyclopedie Medicale Imp –Herisseyet-Jombart –Paris-1981-p260للتوسع انظر

الخطبة الرسمية:

الخطبة هي الفترة الّتي تسبق عقد الزّواج بصفة رسمية وهي في الواقع المرحلة التحضيرية لتوثيق العلاقات بين أسرتي الزّوج والزّوجة ووضع أُسس الحياة الزوجية. ويعتبر فان جنب Van Gennep أنّ الفترة السّابقة على الزّواج والّتي يسمّيها بفترة الخطبة هي فترة هامشية انتقالية تمهيدية.

ليلة الحناء:

لتخضيب العروس والعريس في هذه الليلة معان كثيرة، وهي تحمل في مضمونها كثيرا من المدلولات الاجتماعية والثقافية والنفسية على حدّ سواء، إذ يُفرض على كلّ مجتمع إنساني عند الانتقال إلى مرحلة أو مكانة، القيام ببعض الشعائر والطقوس باعتبارها علامات وإشارات لها وظائف خاصّة بها، حيث يقول cassiner " إنّ قيمة العلامات والإشارات ليست فيمَا تُمثّل، ولكن فيما تتعدّاه، فكلّ إشارة، وكلّ علامة تحملُ في مضمونها معنى معيّن يكون هدفها الأوّل والأخير توصيلها للآخرين. وإذا كان فان جنب يطلق على هذا النّوع من الشعائر والطقوس شعائر المرور أو الانتقال " فإنّ بعض الباحثين يُطلقون عليها أزمة الحياة" " Life crisis-rituals" لأنّها تُميّز المراحل الحرجة في حياة الأفراد.

وتعتبر هذه الشعائر علامة تدلُّ على انطلاق الأفراد من مرحلة إلى مرحلة ثانية، وتتطلب ممارسة هذه الشّعائر استخدام مجموعة متنّوعة من المواد والأشياء أو المكونات الضّرورية والمناسبة لإقامتها مثلا الحناء والماء الفاتر، والقليل من السكر كونه رمز للحلاوة، وتخليط الكل ثم وضع قطعة من الذهب في صحن الحناء. وتجدر هنا الإشارة إلى ان للذهب أيضا رموزا كثيرة في اعتقاد الأهالي من بينها النقاء، والصفاء، والديمومة. أي ان حياة الزوجين ستبقى صافية مثلما

يبقى الذهب صافيا ودائما. إضافة إلى هذا نجد ان عادات تلمسان تفرض على الشخصية (التي تقوم بهذا الدور أي ربط الحناء) أن تكون سعيدة في حياتها، وغير مطلقة لان ذلك سينعكس على حياة العروسين..

لقد اهتمّ الجزائريون بالاحتفال بليلة الحنّاء بوصفها علامة وميزة تحمل في بنيتها وظائف منها ما هي ظاهرة كالزينة وتلطيف البشرة وصباغة الشعر، وهذا يُضفي على ليلة الدّخلة شيئًا من الجاذبية والإثارة. ومنها ما هي كامنة كطرد الأرواح الشريرة ودرء الحسد والتطهر والوفاء والحنان. فالحناء في اعتقادهم تعمل على غرس العواطف النبيلة في النّفس ودليلهم على ذلك أنّ تسميتها مأخوذة من كلمة حنان " بَاشْ ربّي يْحَنّْ عليهُم".

الزفاف:

ثم يأتي الزفاف وهو يوم الاحتفال، حيث يعتبر الاحتفال بالزواج بما يحتويه من عادات، وطقوس وشعائر كأنه مشهد أو عرض مسرحي أو استعراض عائلي يزخر بالكثير من العلامات والإشارات التي تحمل العديد من الدلالات التي تكتمل بها العلامة الكبرى للعرض. فإن هذا العرض يتطلب وجود فضاء، وهذا الفضاء يستدعي مشاركة كل الحواس ويضطرنا إلى إعطاء أهمية بالغة للأوصاف المحسوسة (مرئية، لمسية، حركية، صوتية). كما يستلزم هذا المشهد وجود الشخصيات التي تتحرك في ذلك الفضاء مع تحديد الأدوار التي تقوم بها

ارتبط الاحتفال بالإنسان وبالطقوس والشعائر الدينية منذ القدم، وتمثل هذه الطقوس فعل يقوم على استحضار حالة من الماضي (أسطورة أو حادثة أو خرافة) والتعامل معها كواقعة، وهي ممارسة اجتماعية تحمل دلالات المشاركة. ويتم هذا الاحتفال الطقوسي في الفضاء الواسع، الذي يطلق عليه البعض "بفضاء الاحتفال ".

الاحتفال بالزواج عبارة عن مشهد أو استعراض مسرحي يعكس نوعا من الممارسات الشعبية . وهي كلها عبارة عن إشارات ورموز، تبلورت حول قيم ومعان وأحداث لا يمكن للأفراد التخلي عنها. بل يقومون بترجمتها وإعادتها وتكرارها ونقلها من التجريد إلى الواقع. كما تبين لنا أيضا أن تلك الطقوس والشعائر، تؤثر في الأفراد فتجعلهم يتجاوبون عاطفيا مع ما تتضمنه من أفكار وما تثيره من صور ذهنية. والغريب في هذا الأمر أن هذا التأثير العاطفي في الأفراد يحدث بطريقة مبهمة تعلو على التحليل. بحيث يجد الأهالي في الاحتفال بالزفاف فرصة للتقارب، والتماسك الاجتماعي من جهة، ومن جهة أخرى فرصة لإثبات الذات الجماعية وإثبات الهوية الثقافية.